

# مادة : الخلافة الراشدة

## الفصل الثالث

### رابعاً: خطبة الفاروق لما تولى الخلافة:

اختلف الرواة في أول خطبة خطبها الفاروق عمر، فقال بعضهم: إنه صعد المنبر فقال: اللهم إني شديد فليتي، وإني ضعيف فقوتي، وإني بخيل فسخني<sup>(١)</sup>، وروي أن أول خطبة كانت قوله: إن الله ابتلاكم ببني وإبتلاني بكم بعد صاحبي، فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فإليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فألو فيه عن أهل الجزء - يعني: الكفاية - والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسن إليهم، ولئن أساءوا لأنكفرن بهم. فقال من شهد خطبته ورواها عنه: فوالله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا<sup>(٢)</sup>، وروي أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر وهم أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر. فتزل مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أقرءوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من

أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزبنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة وليي اليقيم؛ إن استغثت عفت، وإن افتقرت، أكلت بالمعروف<sup>(٣)</sup>.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا أن عمر ألقى خطبته أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءاً فرواه، وحفظ آخر جزءاً غيره فذكره، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أول خطبة له بين البيان السياسي، والإداري والعظة الدينية، فذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا فارقاً بين تقوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعاً لمنهجه وشريعته، كما أنه ليس شريفاً على عمر أن يراعي حق سلفه العظيم أبي بكر فلا يجلس في موضع كان يجلس فيه فبساويه بذلك في أعين الناس، فراجع عمر نفسه عليه السلام ونزل درجة عن مكان الصديق عليه السلام<sup>(٤)</sup>، وفي رواية أخرى أنه بعد حين من استخلافه تحدث الناس فيما كانوا يخافون من شدته، وبطشه، وأدرك عمر أنه لا بد من تجليه الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض شأنهم مع النبي عليه السلام وخليفته، وكيف أنهما توفيا وهما راضيان، ثم قال: ... ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خذّه على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق. وإني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها؛ لكم علي أن لا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم علي إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقبكم في المهالك ولا أجركم<sup>(٥)</sup> في ثغوركم، وإذا غبتم في البعث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فانقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكنه عني، وأعينوني على نفسي بالأمر

(١) كنز العمال رقم ٤٤٢١٤ نقلًا عن الدولة الإسلامية د. حمدي شاهين ص ١٢٠.

(٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهين ص ١٢٠.

(٣) أجركم أي لا ألقبكم على جهات الناس بعيداً عن أهليكم مدة طويلة.

بالمعروف والنهي عن المنكر وإحذاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، أقول  
قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم<sup>(١)</sup>، وجاء في رواية: إنما مثل العرب مثل جمل  
أنف اتبع قائده، فليتنظر قائده حيث يقوده، أما أنا فو رب الكعبة لأحملهم على  
الطريق<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الروايات لخطبة عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة يتضح منهجه في الحكم  
الذي لم يحد عنه، وأبرز ملامحه:

- ١- أنه ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء ابتلي به سيحاسب على أداء حقه؛  
فالحكم عند الراشدين تكليف وواجب وابتلاء، وليس جاهًا وشرقًا واستعلاء.
- ٢- وهذا الاستخلاف يتطلب منه أن يياشر حمل أعباء الدولة فيما حضره من  
أمورها، وأن يولي على الرعية التي غابت عنه أفضل الأمراء وأكفاهم، غير أن ذلك  
- فيما يرى عمر - ليس كافيًا لإبراء ذمته أمام الله تعالى؛ بل يرى أن مراقبة هؤلاء  
العمال والولاة فرض لا فكاك منه، فمن أحسن منهم زاده إحسانًا، ومن أساء عاقبه  
ونكّل به<sup>(٣)</sup>، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله عن حديثنا مؤسسة الولاة، وفقه الفاروق  
في تطويرها.

٣- إن شدة عمر التي هابها الناس سيخلصها لهم لينًا ورحمة، وسينصب لهم  
ميزان العدل، فمن ظلم وتعدى فلن يجد إلا التكيل والهوان «ولست أدع أحدًا  
يظلم أحدًا ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض...» أما من أثر القصد  
والدين والعفاف فسيجد من الرحمة ما لا مزيد عليه؛ أضع خدي لأهل  
العفاف<sup>(٤)</sup>، وسيتضح عدل عمر رضي الله عنه في رعيته من خلال المواقف واهتمامه  
بمؤسسة القضاء وتطويرها بحيث يسيطر العدل على كل ولايات الدولة.

٤- وتكفل الخليفة بالدفاع عن الأمة ودينها وأن يسد الثغور ويدفع الخطر، غير  
أن ذلك لن يتم بظلم المقاتلين، فلن يحبسهم في الثغور إلى حد لا يطيقونه، وإن

غابوا في الجيوش فسيرعى الخليفة وجهازه الإداري أبناءهم وأسراهم<sup>(٥)</sup>، ولقد فام  
الفاروق بتطوير المؤسسة العسكرية وأصبحت قوة ضاربة لا مثيل لها على مستوى  
العالم في عصره.

٥- وتعهد الخليفة بأداء الحقوق المالية للرعية كاملة... من خراج وفيء، لا  
يحتج منه شيئًا ولا يضعه في غير محله، بل سيزيد عطاياهم وأرزاقهم باستمرار  
الجهاد والغزو والحض على العمل وضبط الأداء المالي للدولة<sup>(٦)</sup>، وقد قام  
بتطوير المؤسسة المالية، وضبط مصادر بيت المال وأوجه الإنفاق في الدولة.

٦- وفي مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفته والسمع  
والطاعة له والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يشيع الرقابة الإسلامية في  
المجتمع.

٧- ونبه إلى أنه لا يعين على ذلك إلا بتقوى الله ومحاسبة النفس واستشعار

## خامساً: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى قال تعالى: ﴿فَمَا رَمَقُوا مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ يَمَّا رَفَعْنَاهُمْ يُقْفُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]. لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعاً، فكذلك الشورى واجبة شرعاً<sup>(٢)</sup>، وقد اعتمد عمر رضي الله عنه مبدأ الشورى في دولته، فكان رضي الله عنه لا يسائر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشؤون العامة، فإذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ويناقش الرأي معهم فيه ويستشيرهم.

ومن ماثور قوله: «لا خير في أمر أئمة من غير شورى»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض»<sup>(٤)</sup>، وقوله: «شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل»<sup>(٥)</sup>، وقوله: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي ورجل حائر بائر، لا ياتمر رشداً ولا يقطع مرشداً»<sup>(٦)</sup>.

وقوله: «يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع الأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم»<sup>(٧)</sup>، وكان يحث قادة حربه على الشورى، فعندما بعث أبا عبيد الثغفي لمحاربة الفرس بالعراق قال له: «أسمع وأطع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر وخاصة من كان منهم من أهل بدر»<sup>(٨)</sup>، وكان يكتب إلى قادته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم العسكرية عمرو بن معديكرب وطلحة الأسدي قائلاً: استشيروا واستعينوا في حربكم بطلحة الأسدي وعمرو بن معديكرب ولا تولهما من الأمر شيئاً؛ فإن كل صانع أعلم بصناعته»<sup>(٩)</sup>، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: «ولكن عندك من العرب أول من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه؛ فإن الكذوب لا يفعك خبره وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك»<sup>(١٠)</sup>، ومما قاله عمر رضي الله عنه لعتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: «قد كتبت إلى العلاء الحضرمي»<sup>(١١)</sup>، أن يمدك بعرفجة بن هرثمة»<sup>(١٢)</sup>، وهو ذو مجاهدة للعدو، مكايده فإذا قدم عليك فاستشره وقربه»<sup>(١٣)</sup>، وكان مسلك الفاروق في الشورى جليلاً: فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسرع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله وأصحاب الرأي منهم ثم يقضي إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود، فما استقر عليه رأيهم أمضاه، وعمله هذا يشبه الأنظمة الدستورية في كثير من الممالك النظامية؛ إذ يعرض الأمر على مجلس النواب مثلاً ثم بعد أن يقرر بالأغلبية يعرض على مجلس آخر يسمى في بعضها: مجلس الشيوخ وفي بعضها: مجلس اللوردات؛ فإذا انتهى

المجلس من تقريره أمضاء الملك. والقرآن من عمل عمر وعمل هذه الممالك أن هنا الأمر كان اجتهاذاً منه وبغير نظام متبع أو قوانين مسنونة<sup>(١)</sup>، وكثيراً ما كان عمر يجتهد في الشيء ويبدى رأيه فيه ثم يأتي أضعف الناس فيبين له وجه الصواب وقوة الدليل فيقبله ويرجع عن خطأ ما رأى إلى صواب ما استبان له<sup>(٢)</sup>، وقد توسع نطاق الشورى في خلافة عمر رضي الله عنه زيادة المستجدات والأحداث وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع مثل معاملة الأرض المفتوحة وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة لتدفع أموال الفتوح على الدولة، فكان عمر يجمع للمشورى أكبر عدد من الصحابة الكبار<sup>(٣)</sup>، وكان لأشياخ بدر لهم مكانتهم الخاصة في الشورى لفضلهم وعلمهم وسابقتهم إلا أن عمر رضي الله عنه أخذ يشوبهم بشباب، فزئهم على دريهم ماضون لأجلهم ورحمة ربهم ومغفرتهم والدولة لا بد لها من تجديد رجالها، وكان عمر العبقرى الفذ قد فطن إلى هذه الحقيقة فأخذ يختار من شباب الأمة من علم منهم علماً وورعاً وتقى فكان عبد الله بن عباس من أولهم، وما زال عمر يجتهد متخييراً من شباب الأمة مشارين له متخذين القرآن فضلاً في التخيير. حتى قال عبد الله بن عباس: وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً<sup>(٤)</sup>، وقد قال الزهري لغلمان أحدث: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أستاذكم، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتغبي حدة عقولهم<sup>(٥)</sup>.

#### ٥- رأي عمر في الزواج بالكتائب:

لما علم عمر رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية كتب إليه: (حل سبيلها، فكتب إليه حذيفة: أترغم أنها حرام فأخلي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكنني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن. وفي رواية: إني أخشى أن تدعوا المسلمات وتتكحوا المومسات<sup>(٦)</sup>).

قال أبو زهرة: يجب أن يقرر هنا أن الأولى للمسلم ألا يتزوج إلا مسلمة لتنام الألفة من كل وجه، ولقد كان عمر رضي الله عنه يهى عن الزواج بالكتائب إلا لغرض سام كارتباط سياسي يقصد به جمع السرب وتآليفها أو نحو ذلك<sup>(٧)</sup>.

لقد بين المولى عز وجل في كتابه بأن الزواج بالمؤمنة ولو كانت أمة أولى من الزواج بالمشركة ولو كانت حرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ لَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَبَيِّنَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢٢١]، ففي هذه الآيات الكريمة ينهى الحق سبحانه وتعالى عن الزواج بالمشركات حتى يؤمن بالله ويصدقن نبيه، وحكم بأفضلية الأمة المؤمنة بالله ورسوله - وإن كانت سوداء رفيقة الحال - على المشركة الحرة وإن كانت ذات جمال وحسب ومال، ويمنع في المقابل المؤمنات من الزواج بالمشركين ولو كان المشرك أحسن من المؤمن في جماله وماله

(١) الشعر والشعراء لابن فنية (٣٢٧/١)، عمر بن الخطاب د. أحمد أبو النصر ص ٢٢٣.

(٢) أصحاب الرسول (١١٠/١) محمود المصري، معجم الصواب (٣٧٦/١).

(٣) إسناده صحيح، تفسير ابن كثير (٢٦٥/١).

(٤) الأحوال الشخصية لأبي زهرة ص ١٠٤.

وحبه<sup>(١)</sup>، وإذا كان الزواج بالمشرقة حراماً بنص هذه الآية فإن الزواج بالكتابية جائز بنص آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّحَيَّةُ مِنَ الْكَافِرَاتِ وَالْمُشْرِكَةُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وهو نص مخصص للعموم في النص الأول، هذا هو رأي الجمهور<sup>(٢)</sup>، إلا أنهم قالوا إن الزواج بالمسلمة أفضل، هذا فيما إذا لم تكن هنالك مفسد تلحق الزوج أو الأنثى أو المجتمع المسلم، أما إن وجدت مفسد فإن الحكم هو المنع، وهذا مذهب إليه بعض العلماء المعاصرين<sup>(٣)</sup>، وهو رأي سبق إليه عمر بن الخطاب؛ إذ هو أول من منع الزواج بالكتابيات مستثناً في ذلك إلى حجتين:

- أ- لأنه يؤدي إلى كساد الفتيات المسلمات وتعيسهن.
- ب- لأن الكتابية تفسد أخلاق الأولاد المسلمين ودينهم، وهما حجتان كافيتان في هذا المنع، إلا أنه إذا نظرنا إلى عصرنا فإننا سنجد مفسد أخرى كثيرة استجدت تجعل هذا المنع أشد<sup>(٤)</sup>، وقد أورد الأستاذ جميل محمد مبارك مجموعة من هذه المفسد منها:
- أ- قد تكون للزوجة من أهل الكتاب مهمة التجسس على المسلمين.
- ب- دخول عادات الكفار إلى بلاد المسلمين.
- ج- تعرض المسلم للتجنس بجنسية الكفار.
- د- جهل المسلمين المتزوجين بالكتابيات مما يجعلهم عجيبة سهلة التشكيل في يد الكتابيات.
- هـ- شعور المتزوجين بالكتابيات بالنقص، وهو أمر أدى إليه الجهل بدين

الله<sup>(٥)</sup>.

## ٢- بدء التاريخ:

يعد التاريخ بالهجرة تطوراً له خطره في النواحي الحضارية، وكان أول من وضع التاريخ بالهجرة عمر، ويحكى في سبب ذلك عدة روايات، فقد جاء عن ميمون بن مهران أنه قال: دُفع إلى عمر كتاب صك محله في شعبان، فقال عمر: شعبان هذا الذي مضى أو الذي هو آت أو الذي نحن فيه؟ ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه، فقال قائل: اكتبوا على تاريخ الروم، فقيل: إنه يطول وإنهم يكتبون من عند ذي القرنين، فقال قائل: اكتبوا تاريخ الفرس، قالوا: كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن يظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة، فوجدوه أقام عشرة سنين فكتب أو كتب التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>، وعن عثمان بن عبيد الله<sup>(٧)</sup>، قال: سمعت سعيد ابن المسيب يقول: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار ﷺ فقال: متى نكتب التاريخ؟ فقال له علي بن أبي طالب ﷺ: منذ خرج النبي ﷺ من أرض الشرك - يعني: من يوم هاجر - قال: فكتب ذلك عمر بن الخطاب ﷺ<sup>(٨)</sup>، وعن ابن المسيب قال: أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب ﷺ لستين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي بن أبي

(١) نفس المصدر (٢١٩/١).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٣٧/٧).

(٣) محض الصواب (٣١٦/١)، ابن الجوزي ص ٦٩.

(٤) ابن أبي رافع مولى النبي ﷺ يروي عن أبيه.

(٥) المستدرک (١٤/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

هذا التاريخ هو الذي وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه

طالب <sup>(١)</sup>، وقال أبو الزناد <sup>(٢)</sup>: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة <sup>(٣)</sup>، وروى ابن حجر في سبب جعلهم بداية التاريخ في شهر محرم وليس في ربيع الأول الشهر الذي تمت فيه هجرة النبي ﷺ أن الصحابة الذين أشاروا على عمر وجدوا أن الأمر التي يمكن أن يؤرخ بها أربعة، هي مولده ومبعثه وهجرته ووفاته، ووجدوا أن المولد والمبعث لا يخلو من النزاع في تعيين سنة حدوثه، وأعرضوا عن التاريخ بوفاته؛ لما يثيره من الحزن والأسى عند المسلمين، فلم يبق إلا الهجرة، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان من المحرم، إذ رقت بيعة العقبة الثانية في ذي الحجة، وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال محرم، فناسب أن يجعل مبتداً. ثم قال ابن حجر: وهذا أنسب ما وقعت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم <sup>(٤)</sup>.

وبهذا الحدث الإداري المتميز أسهم الفاروق في إحداث وحدة شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى في شبه الجزيرة، حيث ظهرت وحدة العقيدة بوجود دين واحد، ووحدة الأمة بإزالة الفوارق، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد، فاستطاع أن يواجه عدوه وهو واثق من النصر <sup>(٥)</sup>.

### ٣- لقب أمير المؤمنين:

لما مات أبو بكر <sup>(٦)</sup> وكان يدعى خليفة رسول الله ﷺ فقال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيطول هذا، ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة، يُدعى به من بعده من الخلفاء، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: نحن المؤمنون وعمر <sup>(٧)</sup>، فدعي عمر: أمير المؤمنين، فهو أول من سمي بذلك <sup>(٨)</sup>، وعن ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز <sup>(٩)</sup> سأل أبا بكر بن

سليمان بن أبي خيثمة <sup>(١٠)</sup>: لم كان أبو بكر <sup>(١١)</sup> يكتب: من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ؟ ثم كان عمر <sup>(١٢)</sup> يكتب: بعده: من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر، ومن أول من كتب أمير المؤمنين فقال: حدثني جدتي الشفاء <sup>(١٣)</sup>، وكانت من المهاجرات الأول، وكان عمر إذا دخل السوق دخل عليها قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عامل بالعراق <sup>(١٤)</sup>، أن ابعث إلي برجلين جلدتين تبيلين، أسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه صاحب العراقين بليد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فقدمتا المدينة فأتاها راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص، فقالا له: يا عمرو، استأذن لنا على أمير المؤمنين، فدخل عمرو فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يا ابن العاص؟ لتخرجن مما قلت: قال: نعم، قدم لي بليد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقلت: أن الله أصبنا اسمه، إنه أمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من ذلك اليوم <sup>(١٥)</sup>، وفي رواية: أن عمر <sup>(١٦)</sup> قال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم؛ فهو سمي نفسه <sup>(١٧)</sup>، وبذلك يكون عمر بن الخطاب <sup>(١٨)</sup> أنه أول من سمي بأمر المؤمنين، وأنه لم يسبق إليه، وإذا نظر الباحث في كلام أصحاب النبي ﷺ رأى أن جميعهم قد اتفقوا على تسميته بهذا الاسم، وسار له في جميع الأقطار في حال ولايته <sup>(١٩)</sup>.



## المبحث الثالث

### حياة عمر في المجتمع واهتمامه بنظام الحسبة

#### أولاً: حياة عمر في المجتمع:

كانت حياة عمر رضي الله عنه في المجتمع تطبيقاً حياً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن خلال مواقفه المتنوعة نرى الإسلام متجسداً في سيرته وإليك بعض هذه المواقف:

#### ١- عمر رضي الله عنه ورعايته لنساء المجتمع:

كان عمر رضي الله عنه يهتم بنساء المسلمين وبناتهن، وعجائزهم ويعطي لهن حقوقهن، ويرفع عنهن ما يقع من الظلم عليهن، ويرعى شؤون الأسر التي غاب عنها رجالها في الجهاد، ويحرص على إيصال حقوق الأرمال إليهن حتى قال قوله المشهورة والله لئن سلمني الله لا أدعن أرمال أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدي أبداً<sup>(١)</sup>، وهذه بعض المشاهد التي كتبت على صفحات الزمن بأحرف من نور:

#### ثكلتك أمك عشرات عمر تتبع:

خرج عمر رضي الله عنه في سواد الليل فرآه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى فقال طلحة: ثكلتك أمك عشرات عمر تتبع<sup>(٢)</sup>.

إن الاهتمام بضعفاء المجتمع من عوائل النصر، ومن القربابات العظيمة التي يتقرب بها إلى المولى عز وجل، فينبغي لقادة الحركات الإسلامية، وحكام الشعوب الإسلامية، وأئمة المساجد وأبناء المسلمين أن يعتنوا بهذا الجانب الإنساني في مجتمعاتهم ويعطوه حقه.

#### هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات:

خرج عمر رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدى فإذا امرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر بن الخطاب فردت عليه السلام، وقالت يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تدعى الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً، ولم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين، فأتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال الجارود: أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر: دعها أما تعرف هذه؟ هذه هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر أحق أن يسمع لها<sup>(٣)</sup>، وجاء في رواية: فوالله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع إليها<sup>(٤)</sup>، وجاء في رواية: هذه خولة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ آتٍ مُّذْكراً، أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

ثانيًا: اهتمامه بالحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

أخبر المولى عز وجل عن أصحاب نبيه الكريم ﷺ الذين أخرجوا من ديارهم أنهم عند تمكن الله لهم في الأرض سيقومون بأربعة أمور: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِخَيْرٍ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّلَاةُ وَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَنْعُجُدٌ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في تفسيره: وهذه صفة المهاجرين؛ لأنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، فأخبر تعالى أنه إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهو صفة الخلفاء الراشدين الذين مكنتهم الله في الأرض وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم <sup>(١)</sup>. وقد شهد التاريخ وثبت بالتواتر أن الفاروق رضي الله عنه قام بتلك الأمور خير قيام <sup>(٢)</sup>، واهتم رضي الله عنه بحماية وتطوير مؤسسات الدولة كالمالية، والقضائية، والعسكرية، والمتعلقة بالولاية، واجتهد رضي الله عنه في حمل الناس على امتثال أوامر الله تعالى وأوامر نبيه محمد ﷺ وعمل على حمل الناس على اجتناب ما نهى الله عنه ونهى عنه نبيه ﷺ من خلال منصبه كخليفة للمسلمين ومن خلال الولايات الإسلامية والمنتشرة في الدولة الإسلامية قال ابن تيمية -رحمه الله- وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر <sup>(٣)</sup>، وقد قام الفاروق رضي الله عنه بحماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ، وإقامة العبادات في المجتمع الإسلامي، وحارب المنكر، وشجع على المعروف:

#### ١- حماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ والبدع:

لما كان من مقاصد قيام الدولة الإسلامية حراسة الدين، فإن من أهم ما قام به الفاروق القيام بهذا المقصد، وهو حفظ أصل الدين بحمل الناس على العقيدة الصحيحة الصافية التي تركهم عليها رسول الله ﷺ، وحارب شبهات الزائغين ورد كيد أعداء الدين الذين يروجون للعقائد المنحرفة والمخرفات المنكرة التي زينها

(١) أحكام القرآن (٣/٢٤٦).

(٢) الحسبة في العصر الراشدي د. فضل إلهي ص ١٥.

(٣) الحسبة في الإسلام ص ٦، السلطة التنفيذية (١/٣٠٩).



لهم الشيطان، ففلنوا أنهم يحسنون صنعا وإليك بعض المواقف التي تشهد للفاروق في حمايته لجانب التوحيد ومحاربه للزيغ:

### عروس النيل:

أرسل عمرو بن العاص إلى الفاروق رضي الله عنه يخبره عن عادة أهل مصر في رمي فتاة في النيل كل عام وقالوا له: أيها الأمير، لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، قال: وما ذلك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلبي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا ثورة والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا، حتى همو بالجلد فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإنني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد؛ فإن كنت إنما تجري من تباك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله هذه السنة السيئة عن أهل مصر إلى اليوم<sup>(١)</sup>.

فقد بين الفاروق معاني التوحيد في البطاقة وأن النيل إنما يجري بمشيئة الله وقدرته سبحانه وتعالى، وكتب للناس زيف معتقدهم الفاسد الذي تغلغل في النفوس وكان بتصرفه الحكيم قد نسف هذا المعتقد من نفوس المصريين<sup>(٢)</sup>.

### إنك حجر لا تضر ولا تنفع:

عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر، ولا تنفع، ولولا أنني رأيت النبي يمسك ما قبلتك<sup>(٣)</sup>. إنه

الاتباع في أحسن صورهم، وأجمل معانيه<sup>(١)</sup>، قال ابن حجر: قال الطبري: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم أن استلامه اتباع لفعل النبي ﷺ ثم قال ابن حجر - رحمه الله -: وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع، فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه<sup>(٢)</sup>، وهذا الخلق وهو اتباع السنة والحرص عليها من أخلاق النصر في جيل الصحابة رضي الله عنهم فقد علموا بأنه لا بد من اتباع السنة كي يحبوهم الله بالنصر والتأييد<sup>(٣)</sup>.

### قطع شجرة الرضوان:

أخرج ابن سعد - بإسناد صحيح - عن نافع: أن عمر بلغه أن قوماً يأتون الشجرة - شجرة الرضوان - فيصلون عندها فتودعهم، ثم أمر بقطعها فقطعت<sup>(٤)</sup>.

فهذا موقف لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في حماية التوحيد، والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك التابعون بعمل لم يعملهم الصحابة رضي الله عنهم فهو أمر مبتدع، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادة وأمر بها فقطعت<sup>(٥)</sup>.

فهم الفاروق رضي الله عنه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الدين كله داخل في العبادة، والدين منهاج الله جاء ليعم الحياة كلها، وينظم جميع أمورها من أدب الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وشئون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب، وأن الشعائر التعبدية من صلاة وصوم وزكاة وحج، لها أهميتها ومكانتها ولكنها ليست العبادة كلها؛ بل هي جزء من العبادة التي يريد الله تعالى<sup>(١)</sup>، وتطبيق هذا الفهم للعبادة في دنيا الناس من شروط التمكين في الأرض، كما أن العبادة لها أهمية في حياة الإنسان في تثبيت الاعتقاد، وتثبيت القيم الأخلاقية، وإصلاح الجانب الاجتماعي وإليك بعض اهتمامات الفاروق بشعائر الصلاة والزكاة والحج والصوم والذكر وحرصه على تحقيق معاني العبادة في نفسه وفي المجتمع الإسلامي.

### الصلاة:

كان النبي ﷺ يأمر المسلمين بالصلاة ويبالغ في الإنكار على من يتخلف عن الجماعة ويشدد نكيره على تاركها وسار الصديق على هديه ولما تولى الفاروق الخلافة أهتم بأمر الصلاة وحمل الناس عليها وتعقب تاركها، وكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة؛ فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع<sup>(٢)</sup>. وكان رضي الله عنه شديد الحرص على العشوع في الصلاة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: صليت خلف عمر، فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف<sup>(٣)</sup>. وجاء في رواية: أنه فرأى في صلاة الفجر: «لَأَمَّا أَشْكُوا بَنِي وَخَرِي

إِلَى اللَّهِ» [يوسف: ٨٦] وبكى حتى سمع تشجيه من آخر الصفوف<sup>(٤)</sup>، وقد قال رضي الله عنه لمن يعبت في صلاته: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه<sup>(٥)</sup>، وكان رضي الله عنه إذا أبطأ عليه خبر الجيوش قنت<sup>(٦)</sup>، وكان يده للمجاهدين في صلاته ويقنت لذلك، فعندما قاتل أهل الكتاب قنت عليهم في الصلاة المكتوبة<sup>(٧)</sup>، وكان رضي الله عنه يربي الناس ونهس على الاهتمام بأمر الصلاة فرائضها ومستنها ويرشد الناس إلى السنة وينهاهم عن البدع، فعندما تأخر رضي الله عنه في صلاة المغرب حتى طلع نجمان بسبب شغله ببعض الأمور اعتق رقبته بعد الصلاة<sup>(٨)</sup>، وكان يرى الجمع بين صلاتين من غير عذر من الكباثر، وكان ينهى من يصلي بعد العصر<sup>(٩)</sup>، وكان يؤنب من تأخر عن التقدم لصلاة الجمعة، فعن سالم بن عبد الله، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ فتأذاه عمر: أية ساعة هذه؟ قال: إني شغلت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين فلم أزد أن توضأت. فقال: والوضوء أيضاً؟ وقد علمت أن رسلاً ﷺ كان يأمر بالغسل<sup>(١٠)</sup>. وكان رضي الله عنه يمتنع رفع الأصوات في المسجد، فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأنتي بهذين، فجيته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ قال: من أهل الطائف، قال لو كنتم من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ<sup>(١١)</sup>، وكان رضي الله عنه يعظم توجيهات رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذنت أحدكم امرأته أن تأتي المسجد فلا يمنعها»، قال: وكانت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصلي في المسجد فقال لها: إنك لتعلمين ما أحب،

(١٥)

(١) الفتاوى (١٠/٣٧٤).

(٢) الفتاوى (١٨/١٥٤).

(٣) الفتاوى (٢٣/٦٢).

(٤) الفتاوى (٢١/٩١).

فقلت: والله لا انتهي حتى تنساني، قال: فظعن عمر وإنها لفي المسجد<sup>(١)</sup>، فهذا الخبر يدل على تعظيم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لأمر الشريعة، ووقوفه عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث قدم تنفيذ ذلك على ما تحبه نفسه<sup>(٢)</sup>.

وكان رضي الله عنه يحب الصلاة في كبد الليل - يعني: وسط الليل - وكان يصلي ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله، ويقول: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْتَكْثِرُ بِهَا عَنْ رِزْقِكَ وَالْعَلَقَةُ لِلْعُقَى﴾ [طه: ١٣٢]، وقد قام ذات ليلة فغشبه هم عظيم من تفكيره في أمور الناس، فما استطاع أن يصلي، وما استطاع أن يرقد، فقد قال: فوالله ما أستطيع أن أصلي ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتح السورة فما أدري أفي أولها أنا أم في آخرها، فلما سئل: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: من همي بالناس<sup>(٣)</sup>، وكان يعرض ما فاته من قيام بالليل بالنهار، ثم قال رضي الله عنه: من فاته شيء من ورده - أو قال: من حزه - من الليل فقرأ ما بين صلاة الفجر إلى الظهر فكانما قرأه من ليلته<sup>(٤)</sup>. وكان رضي الله عنه يتمنى أن يكون مؤدباً؛ فقد قال: لو كنت أطبق الأذان مع الخلافة لأذنت<sup>(٥)</sup>، وكان كثير الدعاء والتضرع لله عز وجل ومن أدعيته: أقواله في شأن الدعاء: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً<sup>(٦)</sup>. ومن دعائه أيضاً: اللهم إن كنت كتبتني شقيفاً فامحني، واكتبني سعيداً؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت<sup>(٧)</sup>. وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه<sup>(٨)</sup>، وكان يحث الناس على

الاقتراب من المطيعين ويقول: اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون، فإنهم تنجلي لهم أمور صادقة<sup>(٩)</sup>، وكان عمر رضي الله عنه يحب التذكير بالله، فقد كان يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فبقراً ويستمع عمر ومن معه فيكون<sup>(١٠)</sup>، وكان يحب الجلوس مع أهل الذكر، فعن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: كان عمر رضي الله عنه في المسجد بعد العشاء، فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه، إلا رجلاً قائماً يصلي، فمر بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبي بن كعب، فقال: من هؤلاء؟ قال: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأذنهم: خذ في الدعاء فدعا، فاستقرأهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إلي، وأنا بجانبه، فقال: هات، فحُصرت وأخذني أفكل<sup>(١١)</sup>، فقال: قل، ولو أن تقول اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، قال: ثم أخذ عمر في الدعاء، فما كان أحد أكثر دعة ولا أشد بكاء منه، ثم قال: تفرقوا الآن<sup>(١٢)</sup>.

#### التراويح:

أول من جمع الناس على صلاة التراويح هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكتب بذلك إلى البلدان، وسبب ذلك أن الفاروق خرج في ليلة من ليالي رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع<sup>(١)</sup> متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، قال الراوي: عبد الرحمن بن عبد القاري: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله<sup>(٢)</sup>، ولا يتوهم منهم أن التراويح من وضع عمر، ولا أنه أول

- (١) الفتاوى (٦٠/١٥).
- (٢) الفتاوى (٥١/١٠).
- (٣) الأفكل: الرعدة، وأفكل تعني رعدة.
- (٤) الشيخان من رواية البلاذري ص ٢٣٦.
- (٥) أوزاع: جماعات، لا واحد له من لفظه.

الشيخان من رواية البلاذري ص ٢٣٦

من وضعها، بل كانت موضوعة من زمن النبي ﷺ ولكن عمر رضي الله عنه أول من جمع الناس على قارئ واحد فيها، فإنهم كانوا يصلون لأنفسهم فجمعهم على قارئ واحد<sup>(١)</sup>، وأما دليل أصلها من هدى النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يحث الناس على قيام شهر رمضان فقد قال: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه<sup>(٢)</sup>، وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلّى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلّى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد؛ فإنه لم يخف علي مكانكم ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها. ثم رضي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك<sup>(٣)</sup>، وأما قول عمر بن الخطاب: نعم البدعة هذه. إنما سماها بدعة، فإنما ذلك لأنه بدعة في اللغة، إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة<sup>(٤)</sup>، وما فعله الفاروق من جمع الناس على إمام في صلاة التراويح وتعميم ذلك في الولايات يدل على حبه رولمه بالنظام.

### إلزام التجار بمعرفة الحلال والحرام في البيوع:

كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا<sup>(٥)</sup>. وكان يطوف بالأسواق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبي<sup>(٥)</sup>. فكل شئون الحكم كانت محل اهتمام عمر لا يطفى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم. إنه يقعد للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غش ولا غش، ولا احتكار، لا أسواق سوداء أو زرقاء، ولا يسهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، بل قراراً موجزاً شاملاً يقضي على كل المفاسد ويضبط كل شيء: من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا<sup>(٦)</sup>.

وهذا يشبه صدور قانون من نوابين اليوم يقول مثلاً: لا يزاول العمل الفلاني من لم يكن حاصلاً على إجازة كذا وكذا في علم من العلوم<sup>(٧)</sup>، وتعنى دول اليوم بتنظيم الأسواق والإشراف عليها، وتقوم الغرف التجارية أو ما يقوم مقامها على ترشيد وإصلاح وضبط كل ما من شأنه ضبط الأسواق وراحة الجمهور، وكان لعمر رضي الله عنه فضل السبق في ذلك، فلم يترك الأمر فوضى في الأسواق، ولكن أقام عليها مشرفين يراقبون وينظمون ويحافظون، فقد استعمل سليمان بن حنيفة على الأسواق، كما كان السائب بن يزيد عاملاً له على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود، فهناك مشرف عام على الأسواق، ومشرفون على كل سوق على حدة يعملون تحت إمرته، ومن المقطوع بضمه أن العناية بالأسواق تنظيمًا وتيسيرًا، لها دخل كبير في إرضاء الناس من كثير من العناية في الحصول على حاجاتهم، فإذا اهتم الحاكم بهذه الناحية الاهتمام الذي يستحقه كان له من الله الأجر، وأثبتت تصرفات عمر رضي الله عنه السليمة الصحيحة، العملية الدقيقة، أن الإسلام صالح لكل عصر وفي كل مكان في جميع أنحاء العالم، يدفع الأمم المتأخرة إلى التقدم، ويحفظ الأمم المتقدمة من التدهور والانحيار، لا يسد الطريق على من يريد التقدم أن يتقدم ولا يترك الغافل في سبائه العميق<sup>(٨)</sup>.

العرفات اه ولي فقه

#### ٤- الدوريات العصرية الليلية (العسس):

ومما لا شك فيه أن (العسس) كان نواة الشرطة، فقد ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كان أميراً على العسس في عهد أبي بكر، وأن عمر بن الخطاب تولى هو نفسه العسس، وكان يستصحب معه أسلم مولاه، وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف، والعسس هو الطواف بالليل لتتبع اللصوص وطلب أهل الفساد ومن يخشى شرهم، ومن الحق أن نعده الخطوة الأولى في تنظيم مؤسسة الشرطة، لأن المؤمنين كانوا يتولون حراسة أنفسهم ومنع المنكر من بينهم في النهار، حتى إذا ناموا تول السهر عنهم رجال العسس، ثم لما تكاثروا المفسدون وتظاهروا بالمنكر في وضع النهار، أحوج الأمر إلى من يرصدهم نهاراً أيضاً، فأنشئت الشرطة. فالشرطة إذن (عسس دائم) إذا صح هذا التعبير <sup>(٢)</sup>.

تبعه  
عمر بن الخطاب  
في  
الليل

كان الفاروق رضي الله عنه يقوم بنفسه على حراسة المسلمين، وقد ساعده ذلك على الإلمام بواقع المجتمع الإسلامي، ففي مدينة رسول الله - وهي يومئذ عاصمة الدولة الإسلامية الكبرى وملتقى البشر ومقر الحكم - كان يسعى في دروبها ليلاً ليرى بنفسه ويسمع ما قد يتردد عماله في أن يحملوه إليه، أو ينوت عليهم ما يحملوه إليه، وكم وضع من القواعد وكم عدل من القواعد، التي وجد أن الواقع يفرض عليه وضعها، أو يفرض عليه تعديلها وإلغاءها، وإليك بعض الأمثلة الدالة على ما ذهبت إليه <sup>(٣)</sup>:

#### النهي عن تعجيل فطام الصبيان:

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم المدينة رفقة من تجار فزلوا

المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانهما ويصليان فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه اتقي الله وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى أمه فقال لها: ويحك إنك أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟ فقالت: يا عبد الله! أي أشغله عن الطعام فأبى ذلك. قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم - وكان عمر قد فرض لكل مفطوم رزقاً، أو عطاء - قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهراً، فقال: ويحك لا تعجليه عن الفطام، فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديه فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق <sup>(١)</sup>، ما أجملها من حادثة وما أعظمها من عدالة، وبذلك أصبح كل مولود مسجل في ديوان العطاء ويفرض له من بيت مال المسلمين، لأن بيت المال حق لكل مسلم ولأن المسئول عنه إنما هو أمين وقائم سايه لا يجوز له أن يصرف منه شيئاً في غير محله ولا أن يمنع منه حقاً وجب فيه.

عالم  
الدين  
العلماء  
العلماء  
العلماء

عندما انتشر الإسلام، واتسعت رقعة الدولة في عهد عمر، وارتبط المسلمون بغيرهم من الأمم، دعت حالة المدنية الجديدة إلى تطوير مؤسسة القضاء، فقد كثرت مشاغل الخليفة، وتشعبت أعمال الولاية في الأمصار، وزاد النزاع والتشاجر، فرأى عمر <sup>(١)</sup> أن يفصل الولايات بعضها عن بعض وأن يجعل سلطة القضاء مستقلة، حتى يتفرغ الوالي لإدارة شؤون ولايته، فأصبح للمؤسسة القضائية قضاة مستقلين، عن الولايات الأخرى، كولاية الحكم والإدارة فكان عمر بهذا أول من جعل للقضاء ولاية خاصة، فعين القضاء في الأمصار الإسلامية، في الكوفة والبصرة والشام ومصر، وجعل القضاء سلطة تابعة له مباشرة، سواء كان التعيين من الخليفة، أو كان بتفويض أحد ولاته بذلك نيابة عنه، وهذا يدل على أن القيادة الإسلامية متمثلة في شخصية الفاروق، لم تكن عاجزة عن وضع قواعد أصلية، في تنظيم الدولة وترتيب شؤونها، وتحديد سلطاتها وإذا كانت أرباباً قد اكتشفت هذه القاعدة بصورة نظرية في القرن الثامن عشر، واعتبرتها فتحاً جديداً في تنظيم الدولة، وفي رعاية حقوق المواطنين، يوم تحدث عنها (مونتسكيو) في كتابه روح الشرائع، ولكن لم يكتب لهذه القاعدة التطبيق العملي إلا في أوائل القرن التاسع عشر، أي بعد الثورة الفرنسية، فإن الإسلام قد أقرها قبل أربعة عشر قرناً، واعتبرها أصلاً من أصول نظامه.

وقد كان هذا الأصل من زمن الرسول <sup>(ص)</sup> حين أرسل معاذاً إلى اليمن ومأله رسول الله <sup>(ص)</sup>: «م تقضي يا معاذ؟» بين معاذ أنه يقضي بكتاب الله، فإن لم يجد فبسنه رسول الله <sup>(ص)</sup>، فإن لم يجد يجتهد رأيه ولا يألو، فأقره الرسول <sup>(ص)</sup> على ذلك <sup>(١)</sup> وأما الفاروق، فقد قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلق بها من أمور، وأصبح في عهده مبدأ فصل القضاء عن غيرها من السلطات واضحاً في حياة الناس ولم يكن استقلال ولاية القضاء مانعاً لعمر <sup>(ص)</sup> من أن يفصل في بعض القضايا، وربما ترك بعض ولاته يمارسون القضاء مع السلطة التنفيذية، ويرأسهم في الشؤون القضائية، فقد راسل المغيرة بن شعبه في أمر القضاء وكان واليه على البصرة ثم الكوفة، وراسل معاوية واليه عار الشام في النزاع القضائي، وراسل أبا موسى الأشعري في شأن بعض القضايا، وكان القاضي يعين للولاية كلها، سواء أكان تعينه من قبل الخليفة أم كان من قبل الوالي بأمر الخليفة، وكان مقر القاضي حاضرة الولاية وإليه ترجع السلطة القضائية في ولايته <sup>(٢)</sup>، وقد تم فصل السلطة القضائية في الولايات الكبيرة على الغالب، مثل الكوفة ومصر، وقد جمع لبعض ولاته بين الولاية والقضاء إذا كان القضاء لا يشغلهم عن شؤون الولاية، وراسلهم بهذا الوصف في شؤون القضاء، وأنه كان يقوم بالقضاء في بعض الأحيان مع وجود قضاة له بالمدينة <sup>(٣)</sup>، ومن القضاء الذين قصرهم الفاروق في خلافته على القضاء وحده: عبد الله بن مسعود؛ لأنه عمر قضاء الكوفة، فقد روى قتادة عن أبي مجلز أن عمر بن الخطاب بعث <sup>(٤)</sup> من يأسر على صلاة أهل الكوفة، وبعث عبد الله بن مسعود على بيت المقدس والقضاء <sup>(٥)</sup>.

سلمان بن ربيعة: ولأه عمر القضاء على البصرة ثم القادسية. قيس بن أبي العاص القرشي تولى قضاء مصر.

### وأما الذين جمعوا بين الولاية والقضاء فمنهم:

نافع الخزاعي والي مكة، ذكر ابن عبد البر أن عمر بن الخطاب استعمله على مكة وفيهم سادة قريش، ثم عزله وولى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي <sup>(٦)</sup>.

○ يعلى بن أمية والي صنعاء.

○ سفيان بن عبد الله الثقفي والي الطائف.



- المغيرة بن شعبه والي الكوفة.
- معاوية بن أبي سفيان والي الشام.
- عثمان بن أبي العاص الثقفي والي البحرين وعمان.
- أبو موسى الأشعري والي البصرة.
- عمير بن سعد والي حمص.

ومن هؤلاء من أبقاه الفاروق على القضاء مع الولاية، كما فعل مع معاوية، ومنهم من فصل القضاء عن سلطته وأقصره على الولاية كما فعل مع المغيرة، وأبي موسى الأشعري، ومن قضاة الفاروق بالمدينة: علي بن أبي طالب.

زيد بن ثابت رضي الله عنه فقد روي عن نافع: أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقاً<sup>(١)</sup>.

السائب بن أبي يزيد<sup>(٢)</sup>.

### أولاً: من أهم رسائل عصر إلى القضاة:

إن الفاروق رضي الله عنه وضع دستوراً قوياً في نظام القضاء والقاضي، وقد اهتم كثير من أعلام الفقه الإسلامي بشرح هذا الدستور والتعليق عليه، ونجد الدستور العمري في القضاء في رسالته لأبي موسى الأشعري وهذا نص الرسالة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس<sup>(٣)</sup>، سلام عليك، أما بعد؛

فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا يقع تكلم بحق لا نفاذ له، أس<sup>(٤)</sup> بئر الناس في وجهك وغداً لك ومجلسك، حتى لا

يطمع شريف في حيفك<sup>(٥)</sup>، ولا يياس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً، لا يمنعك قضاء قضيت بالأمر، فراجعت فيه عقلك، ومهذبت فيه لرشدك أنه ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم أعرف الأشياء والأمثال، فقس الأمور عند ذلك وأتمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت<sup>(٦)</sup> عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعنى، المسلمون عدول<sup>(٧)</sup>، بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، أو مجزئاً عليه شهادة زور، أو ظنياً في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ<sup>(٨)</sup> بالبينات والأيمان، وإياك والغلق<sup>(٩)</sup>، والضجر والتأذي للخصوم، والتكرع عند الخصومات فإن القضاء في مواطن الحق يعظم به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلف للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه: شانه الله فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائنه رحمة، والسلام<sup>(١٠)</sup> وقد جمعت هذه الرسالة العجيبة آداب القاضي، وأصول المحاكمة، وقد شغلت العلماء بشرحها والتعليق عليها هذه القرون الطويلة، ولا تزال موضع دهشة وإكبار لكل من يطلع عليها، ولو لم يكن لعمر من الآثار غيرها لعد بها من كبار المفكرين والمشرعين، ولو كتبها رئيس دولة في هذه الأيام التي انتشرت فيها قوانين أصول المحاكمات، وضار البحث فيها مما يقرؤه الأولاد في المدارس، لكانت كبيرة منه، فكيف وقد كتبها عمر منذ نحو أربعة عشر قرناً، ولم

آلاف الثمرات، للفرسة المباركة التي غرسها في قلبه محمد ﷺ حين دخل عليه في دار الأرقم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله<sup>(١)</sup>.  
ومن الرسائل المهمة في هذا الباب رسالة الفاروق إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: أما بعد؟

فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسي خيرًا، ألزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ بأفضل حظك: إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات العادل، والأيمان القاطعة، ثم أذن الضعيف حتى تبسط لسانه ويجترئ قلبه، وتعهد الغريب فإنه إذا طال حبه ترك حاجته وانصرف إلى أهله، وإن الذي أبطل من لم يرفع به رأسًا. واحرص على الصلح ما لم يستن لك القضاء والسلام<sup>(٢)</sup> وكتب ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ما في القضاء: أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم آلك ونفسي فيه خيرًا، ألزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ فيه بأفضل حظك: إذا تقدم إليك خصمان فعليك بالبينات العادلة أو اليمين القاطعة، وأذن الضعيف حتى يشتد قلبه ويبسط لسانه، وتعهد الغريب، فإنك إن لم تعهده ترك حقه، ورجع إلى أهله، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به، وآسى بينهم في لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس، ما لم يستن لك فصل القضاء<sup>(٣)</sup>.  
وكتب إلى القاضي شريح عن الاجتهاد: إذا أتاك أمر فاقض فيه بما في كتاب الله فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقض بما سن في رسول الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يست رسول الله ﷺ فاقض بما سن في أحد فأتى الأمرين شئت فخذ به وفي رواية أخرى: فإن شئت أن تعهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيرًا لك<sup>(٤)</sup>. ويمكن للباحث من خلال رسائل الفاروق وحياته في زمن خلافته أن يستخرج ما يتعلق بالمؤسسة القضائية في الأرزاق والعزل، وأنواع القضاة وصفاتهم وما يجب عليهم ومصادر أحكامهم وخضوع الخليفة نفسه للقضاء وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذه المؤسسة.